الفصل الثاني

اختبار تداعي الألفاظ

معناه:

يعتمد اختبار تداعي الألفاظ[1] على حقيقة نفسية مؤداها أن هناك نوعًا من الترابط بين الكلمة والكلمة وذلك مبني على أساس أن الفرد إذا عاش تجربة معينة وكان لها تأثيرًا في نفسه فإن معالمها تظل مسيطرة على فكره ولا يستطيع التخلص منها كلما أثارها في ذهنه مؤثر ما. وعليه فإن ذكر أو إثارة أية كلمة لها علاقة بالتجربة المعاشة سوف تنبه في ذهن الفرد كلمة أخرى مرتبطة بالتجربة ذاتها.

فاختبار تداعي الألفاظ هو أن يطلب من الشخص الموضوع تحت الاختبار أن يجيب فورًا على كل كلمة تخطر على ذهنه عند سماع الكلمة المستخدمة كمؤثر ولتوضيح الموضوع نسوق المثل التالي:

اغتصب شاب فتاة كان يحبها ولكنها كانت تصده عنها، فإن هذا الحادث سوف يترك أثرًا شديدًا في ذهنه قد يدوم وقت طويلاً ويصبح عقله شديد الحساسية والتنبيه لكل ما له علاقة بالحادثة فإذا ذكر له كلمة «فتاة» وطلب إليه أن يجيب عليها بأول كلمة ترد على ذهنه عند سماعها فقد يكون جوابه «اعتداء» أو «دماء» أو «صراخ» أو «سجن» أو «قانون» ... إلخ ، ومما لا شك فيه أن كل كلمة من هذه الكلمات لها علاقة بالواقعة.

---

(١) في اختبار تداعي الألفاظ انظر حسين محمد علي، المرجع السابق، ص ٢٨٧ وما بعدها ـ سعد جلال المرجع السابق، ص ٢١٨ ص ٤٠٣ وما بعدها ـ أحمد محمد خليفة، المرجع السابق، ص ٦٢ وما بعدها ـ زين العابدين سليم ومحمد إبراهيم زيد، المرجع السابق، ص ٢٧ وما بعدها ـ محمد فتحي، علم النفس الجنائي علمًا وعملاً ١٩٤٣ ص ٣٨٩ وما بعدها.

Scanned by CamScanner

أدوات الاختبار:

إن أدوات الاختبار هي:

١ ـ ساعة خاصة «كرونوسكوب» لقياس زمن التداعي « سرعة ورود الخواطر» الذي يراد به معرفة ما يلزم من الوقت لاستحضار الخواطر وإيقاظها في الذهن بأقصى ما يمكن من سرعة وسرعة الخواطر هذه تختلف باختلاف الأشخاص وتختلف كذلك باختلاف أنواع الروابط العقلية والموضوعات التي يجرى فيها الاختبار. ويتم هذا القياس بحساب الزمن بين التنبيه وورود التلبية في الذهن، وبتكرار التجربة مع الشخص في عدة كلمات يمكن استخلاص متوسط سرعة ورود خواطره أو زمن التداعي الخاص به.

٢ ـ قائمة تحتوي على عدد وافر من الكلمات المختلفة «جرت العادة أن تكون من مئة كلمة» ينتخب من بينها ٣٠ أو ٤٠ كلمة لها صلة بالجريمة ووقائعها وظروفها ومحتوياتها والتدابير والإجراءات التي اتخذت في سبيل تنفيذها والأشخاص الذين اشتركوا فيها أو كانوا حاضرين وقت وقوعها وبواعث ارتكابها ... وهكذا.

وطريقة إعداد القائمة المئوية هي أول عمل تجب العناية به عناية خاصة لأن اختيار الكلمات التي لها ارتباط بالحادث وكيفية توزيعها بين باقي الكلمات بالقائمة يتطلب مهارة فنية وخبرة واسعة.

* * *

Scanned by CamScanner

القائمة المئوية

١ – رأس
٢ – أخضر
٣ – ماء
٤ – يغني
٥ – ميت
٦ – طويل
٧ – موكب
٨ – يعطي
٩ – شباك
١٠ – صداقة
١١ – يطبخ
١٢ – يسأل
١٣ – بارد
١٤ – جزع
١٥ – يرقص
١٦ – قرية
١٧ – بحيرة
١٨ – مريض
١٩ – كبرياء
٢٠ – يخبز
٢١ – حبر
٢٢ – غضبان
٢٣ – إبرة
٢٤ – يعدم
٢٥ – سباحة
٢٦ – أزرق
٢٧ – مصباح
٢٨ – يذنب
٢٩ – خبز
٣٠ – غني
٣١ – شجرة
٣٢ – يتحسن
٣٣ – شفقة
٣٤ – أصفر
٣٥ – جبل
٣٦ – يموت
٣٧ – ملح
٣٨ – جديد
٣٩ – عادة
٤٠ – يصلي
٤١ – نقود
٤٢ – غبي
٤٣ – كرامة
٤٤ – يحتقر
٤٥ – أصبع
٤٦ – غال
٤٧ – طائر
٤٨ – يسقط
٤٩ – كتاب
٥٠ – ظالم
٥١ – خندق
٥٢ – يغادر
٥٣ – جوع
٥٤ – أبيض
٥٥ – طفل
٥٦ – يحترس
٥٧ – قلم رصاص
٥٨ – حزين
٥٩ – مشمش
٦٠ – يتزوج
٦١ – منزل
٦٢ – ثمين
٦٣ – زجاج
٦٤ – يتشاجر
٦٥ – فرو
٦٦ – كبير
٦٧ – جزر
٦٨ – ينقش
٦٩ – جزء
٧٠ – هرم
٧١ – زهرة
٧٢ – يضرب

Scanned by CamScanner

٧٣ – صندوق
٧٤ – متوحش
٧٥ – عائلة
٧٦ – يغسل
٧٧ – بقرة
٧٨ – حديقة
٧٩ – خط
٨٠ – كذب
٨١ – سلوك
٨٢ – صنعة
٨٣ – صديق
٨٤ – يخاف
٨٥ – حيوان
٨٦ – مزيف
٨٧ – قلق
٨٨ – يقبل
٨٩ – عريس
٩٠ – نقي
٩١ – باب
٩٢ – يختار
٩٣ – حنطة
٩٤ – قانع
٩٥ – يهزأ
٩٦ – ينام
٩٧ – شهر
٩٨ – ظريف
٩٩ – امرأة
١٠٠ – مؤذي

هذه القائمة معربة عن القائمة التي وضعها العلامة يونك والتي استند عليها في بحوثه وتجاربه.

طريقة الاختبار:

يطلب الباحث من الشخص الذي تحت الاختبار أن يلفظ أول كلمة ترد على ذهنه بمجرد سماعه كلمة تلقى عليه من الكلمات الواردة بالقائمة على أن يكون جوابه عليها بأقصى ما يمكن من السرعة، ثم تسجل الأجوبة في مذكرة، كما تسجل أزمنتها بواسطة الساعة «الكرونوسكوب».

وقد لوحظ أن به، إذا كانت لديه يد في أحداث الجريمة، فإنه عند سماعه لكلمات لها صلة بموضوع الجريمة وظروفها، فأنها سوف تثير في نفسه انفعالات شديدة تؤثر في نتيجة هذا الاختبار. بينما تأتي ردود البريء على هذه الكلمات عادية لا شذوذ فيها. فإذا كانت السرقة التي وقعت في غرفة النوم مثلاً فإن رده على كلمة «غرفة» قد يكون «نوم»، وإذا كان المسروق على ذهبية، فإن كلمة «سرقة» قد تثير كلمة «ذهب» ... إلخ، بينما نجد أن ردود البريء تأتي خالية من الظروف التي لها علاقة بالجريمة، ذلك لأنه لا يعلم عنها شيئًا.

Scanned by CamScanner

إن ردود الجاني على الكلمات التي لها صلة بالجريمة تأتي عادة متأخرة عن المعدل الشخصي للرد، ذلك لأنه يبذل جهدًا فكريًا لكي يأتي الرد مجردًا من صلته بالجريمة حتى لا يفضح أمره، هذا وقد يستطيع الجاني في حالات نادرة أن ينطق على الفور برد عادي على كلمات ذات صلة بالجريمة كاشفًا عن ذكاء وسرعة بديهة، ولكن التوتر العصبي الذي يعقب هذا القرار، يترك أثره فيما يتلو هذه الكلمة من الكلمات العادية، فلا يستطيع الرد عليها إلا بعد وقت يزيد عن المعدل الشخصي فإذا كانت الكلمة التالية: «شجرة» مثلاً، وهي عادية جدًا ويستطيع الرد عليها في أقصر وقت، فإننا قد نجده يبقى وقتًا طويلاً نسبيًا دون أن يوفق إلى الرد ، وذلك لانشغال ذهنه بالكلمة السابقة عليها.

وإذا مست كلمة التنبيه، ذات الصلة بالجريمة، مركبًا نفسيًا مكبوتًا أو مكظومًا فإن ذلك قد يؤثر في النشاط العقلي لعملية التداعي فيؤخرها زمنًا يختلف باختلاف قوة الصدمة النفسية ومبلغ التأثر وقد تشل العملية تمامًا فلا يجد جوابًا و يظل ساكنًا دقائق طويلة.

هذا وإذا أعيد الاختبار نفسه مرة أخرى على نفس المشتبه به، لوحظ أن رده على الكلمات البريئة «العادية» لا يكاد يتغير، بينما نجده يحاول تغيير ردوده على الكلمات الأخرى أي تلك الردود التي يظن أنها دلت على صلته بالجريمة.

ولتقريب طريقة الاختبار نسرد التجربة التالية:

كان هناك شاب متعلم في الثامنة عشر من عمره يقيم في منزل عمه الذي كفله وتولى رعايته بعد وفاة أبيه، حدثته نفسه أن يسرق نقود عمه، فلاحظ العم فقد نقوده من وقت لآخر، أحيانًا من جيبه وأحيانًا من خزانته، فلم يخامره في بادئ الأمر شك في سلوك ابن أخيه الذي كان يعامله معاملة الوالد لابنه، بل اتجهت شبهته نحو الخدم فكتم الأمر مدة مكتفيًا بمراقبتهم، ولكن لما تعددت وقائع السرقة ولم يفز بطائل، بلغ الشرطة وطلب منها أن تحقق القضية لمعرفة الفاعل، غير أنه بعد التبليغ لاحظ على الغلام قلقًا عصبيًا واضطرابًا آثار شكوكه فيه ، ولكي يتثبت من حقيقة ذلك ذهب إلى

Scanned by CamScanner

العلامة في الطب النفسي الدكتور يونك[1] بدعوى معالجة أعصابه، فعمد الطبيب إلى تحليل خواطره واختبار عقليته «بالتداعي» اللفظي متذرعًا بحجة درس حالته المرضية وتشخيص علة قلقه واضطرابه، فجهز له قائمة من مئة كلمة دس فيها ٣٧ كلمة لها علاقة بالسرقة وظروفها ومكان حفظ النقود والعقوبة المقررة للسرقة في القانون وما يترتب عليها من النتائج وغير ذلك ثم بدأ الاختبار بأن وجه للفتى بضع كلمات عادية، وطلب منه أن يجيبه على كل كلمة تلقى عليه بأول كلمة تخطر بباله وبأقصى ما يمكنه السرعة، فكانت النتيجة أن كلمة «رأس» نبهت عنده كلمة «أنف» وكلمة أخضر نبهت عنده «أزرق» وماء – هواء «وطويل ـ قصير» و«خمسة - ستة» و«صوف - ملابس» وهكذا. وقد لوحظ أن متوسط سرعة خواطره في التداعيات السالفة كان ثانية وستة أعشار الثانية. ولما جاء دور الكلمات التي لها اتصال بحادث السرقة ظهر أن كلمة «لص» نبهت «نشال» وهي تلبية طبيعية، ولكن زمنها ٤.٦ ثانية وأن كلمة «شرطة» نبهت «سرقة» في ٣.٦ ثانية ، والتداعي «سجن – عقوبة» تم في ٤.٢ ثانية.

وشوهد في بعض الأحيان أن التلبية قد تحصل بسرعتها الطبيعية في التداعيات المحرجة، غير أن أثر الانفعال النفسي يظهر تلبية التداعي التالي، فمثلاً كلمة «مفتاح» نبهت في ذهن الغلام «مصطنع» في ١.٦ ثانية بينما التداعي الذي تلاه «أبله – نبيه» لم يتم إلا في ثلاث ثوان، ثم تلاه التداعي «جريمة – سرقة» تم في ١.٨ ثانية وهو زمن يكاد يكون طبيعيًا، غير أن الصدمة النفسية في التداعي الذي أعقبه كأن لها أثر شديد في نشاطه العقلي لدرجة أعجزته عن استحضار أية تلبية لكلمة «طباخ» مع أنها عادية بل استمر عشرين ثانية واجمًا: ثم أعقبه التداعي «خبز – ماء » وقد تم في ١.٦ أي كان زمنه طبيعيًا، ولما هو معروف عن الخبز والماء من أنهما طعام السجون فقد أثار هذا الخاطر في نفس الغلام انفعالاً قويًا ظهر أثره في التداعي الذي تلاه بأن أعجزه أيضًا عن الجواب.

---

(١) وهو أول من ابتكر هذا الأسلوب.

Scanned by CamScanner

وعلى هذا النحو تمت عملية الاختبار ورصدت الأجوبة مع أزمنتها المختلف، وبعد الفراغ منها أعيد الاختبار بنفس القائمة المئوية دفعة ثانية، فشوهد أن ردود الكلمات التي لها اتصال بالسرقة قد تغيرت، فإن كلمة «جريمة» كان جوابها في الاختبار الأول «سرقة» وفي الثاني قتل وكلمة ينكشف كان جوابها أولاً «خطأ» وثانيًا «يقبض»، أما الكلمات العادية فإن ردودها لم تتغير، فبتحليل تداعيات كلا الدورين وملاحظة ما طرأ على تلبيات تداعيات الدور الثاني من التغيير، ودرس التغييرات الزمنية والشذوذ الطارئ على سرعة بعض الخواطر، أمكن هذا الطبيب المحنك من أن يقف على الكثير من تفصيلات الحادث وتشخيص موقف الفتى تشخيصًا دقيقًا، فوجه إليه الأستاذ يونك تهمة السرقة، فأنكرها الفتى في بادئ الأمر محتجًا بشدة، فسرد له الطبيب الوقائع التي كشف الاختبار عنها النقاب، وقص عليه كيف كان يرق نقود عمه تارة من خزانته وتارة من كيس نقوده، وشرح له السبل والطرق التي كان ينفق فيها تلك النقود، ومن ضمنها أنه اشترى ساعة، وأشياء أخرى قدمها لأخته وهلم جرًّا، فما كان من الغلام إلا أن بهت واعترف بكل شيء اعترافًا صريحًا، وبذلك أمكن عمه أن يتدارك لإنقاذه من السجن بأن سعى لدى أولي الأمر في حفظ التحقيق حرصًا على كرامة الأسرة، وصيانة لشرفها.

هذا ويلاحظ بأنه إذا عرض علم المتهم البريء أمر اختباره بأسلوب التداعي اللفظي فهو عادة لا يرفض لأنه لا يخشى ظهور الحقيقة، بل على العكس يهمه إظهارها.

وإن كان مذنبًا فإنه يخشى الرفض حتى لا يثبت على نفسه الشكوك والشبهات هذا فضلاً عما يعتقده من أن في إمكانه دائمًا أن يصون لسانه من ذكر كل ما له علاقة بالجريمة، واستنادًا لكل هذه الاعتبارات فإن المتهم يقبل أن يسلم نفسه طائعًا مختارًا لهذا الاختبار.

بعض الملاحظات:

بالرغم من اختبار التداعي اللفظي قد استعمل بنجاح في كشف بعض الجرائم على

Scanned by CamScanner

أيدي كبار علماء النفس أمثال يونك ومستر برك وغيرهم، إلا أنه ترد عليه بعض الملاحظات أهمها:

١ ـ أن نطاق استعماله في الوقت الحاضر محدود إذ لابد من موافقة المتهم على إجراء التجربة وقيامه بها حتى النهاية، وإن كان رفضه أو انقطاعه أثنائها يعتبر دلالة وقرينة ضده.

٢ ـ يتطلب إجراء الاختبار دقة متناهية في حساب المعدل الشخصي وأزمنة الردود، واختيار الكلمات التي تستعمل في الاختبار.

٣ ـ يتطلب لأجراءه معرفة عميقة بعلم النفس للتعرف من الردود على اتجاهات التفكير لدى المتهم.

٤ ـ أن الكلمات المختارة بالقائمة والتي باعتبارها محايدة قد لا تكون كذلك فعلاً مما يقلل من الفروق في ردود أفعالها بينها وبين الكلمات الحرجة.

٥ ـ أن الشخص موضوع الاختبار قد يكون بريئًا ولكنه على علم بتفاصيل الجريمة أو على دراية بالشك الذي يدور حوله فيستجيب مرغمًا للكلمات الحرجة بردود أفعال من شأنها أن تركز حوله الاتهام.

يتضح مما تقد بأنه لا يمكن الاعتماد كليًّا على هذه الطريقة وحدها للكشف عن الجريمة إذ يجب أن تفسر النتائج التي يتم التوصل إليها في ضوء النتائج التي يتم التوصل إليها بطرق التحقيق الأخرى، إن اختبار تداعي الألفاظ يمكن استخدامه كأداة مساعدة على تحديد عدد الأفراد المشتبه فيهم.

* * *

Scanned by CamScanner

الفصل الثالث

التحليل العقاري

معناه:

أسلوب خاص من التحليل النفسي يتم عن طريق حقن الشخص بجرعة معينة في الوريد من إحدى العقاقير المخدرة[1] والتي تؤدي إلى حالة من الغيبوبة الواعية لفترة معينة حسب كمية الجرعة يستمر الشخص خلالها مالكًا لقواه الإدراكية ولكنه يفقد في نفس الوقت القدرة على التحكم في إرادته واختياره مما يجعله أكثر قابلية للإيحاء وأكثر رغبة في الإفصاح والتعبير عما يختلج في كوامن نفسه [2].

استعمالاته:

لقد استخدم التحليل بطريق التخذير من قبل أطباء الجيش الأمريكي خلال الحرب العالمية الثانية للعلاج السريع قصير المدى للجنود الذين يصابون بالقلق العصبي أو الأمراض النفسية أو العقلية. وقد تطورت آلية التحليل العقاري ودخلت في نطاقها عمليات الإيحاء تحت تأثير المخدر وعمليات التنسيق تحت تأثير التخدير، وتتكون العمليات الأولى من إقناع المريض بمرض عصبي بعدم وجود المرض الذي يعتقد أنه يعاني منه، أما العمليـــات الثانية فهي محاولة إعادة بناء الشخصية المعصابي[3].

وقد استعملت هذه العقاقير أيضًا للتشخيص والتنبؤ بسير المرض إذ استخدمت للتمييز بين المرضى بالعصاب والمرضى بالفصام، كما ترجع لأسباب عضوية، كما ظهر أن الإميتال عقار ناجح لاختبار المرضى الذين سوف يستجيبون لطريقة العلاج دون أخرى.

---

(١) مثل البنتونال، والإميتال، والأنصيبان، والناركوفين، والميسكالين...إلخ.

(٢) انظر سامي صادق الملا، المرجع السابق، ص ١٦٥.

(٣) انظر زين العابدين سليم ومحمد إبراهيم زيد، المرجع السابق، ص ٣٥ ـ ٣٦.

Scanned by CamScanner

التحليل العقاري وكشف الجريمة:

وبعد اكتشاف أثر العقاقير المخدرة التي تجعل الإنسان في حالة عقلية خاصة لجأ بعض المحققين إلى الاستفادة من هذه الطريقة للحصول على الأسرار التي يخفيها الشخص وهو في حالة وعيه الكامل [1].

ومما يجدر التنبيه إليه أن التخدير بهذه العقارات يجب أن يكون بكميات بسيطة ومعقولة لأن الكميات الكبيرة قد تؤدي إلى نتائج خطيرة كالغيبوبة والموت حسب حساسية كل شخص. ولهذا يجب العناية التامة في اختيار الخبير الذي يقوم بهذا النوع من التحليل بحيث يجب أن تتوفر فيه الشروط الآتية.

١ – خبرة فنية طويلة (نظرية وتطبيقية) بكل ما يتعلق بعملية التحليل ذاتها وخاصة فيما يتعلق في تحديد الجرعة المناسبة واختيار الوقت المناسب للشروع في الاستجواب.

٢ ـ خبرة واسعة بفن الاستجواب.

٣ ـ قدر كاف من المعلومات في مجال علم النفس بحيث تؤهله لتفهم الشخص موضوع الاستجواب [2].

ملاحظات حول التحليل العقاري من الناحية العملية:

لقد وجهت بعض الانتقادات إلى التحليل العقاري باعتبار أن الأقوال التي يدلي بها الشخص الخاضع تحت تأثير العقاقير لا تعبر عن الحقيقة وذلك للأسباب الآتية:

١ ـ أن بعض الأشخاص يسهل الإيحاء إليهم تحت تأثير العقاقير المخدرة ويتمكن المحقق من استغلال هذا الاستعداد ضدهم إذ قد يوافق الفرد الذي يسهل الإيحاء إليه على اتهامات صيغت بشكل تم التلاعب فيه بالألفاظ [3].

(١) انظر محمد سامي النبراوي ـ المرجع السابق ـ ص ٤٦٢ ـ ٤٦٣.

(٢) انظر محمود التوني، المرجع السابق، ٣٥٠.

(٣) انظر حسين محمد علي، المرجع السابق، ص ٢٥٩.

Scanned by CamScanner

٢ ـ هناك كثير من العصابيين الذين يعانون من شعور كامن بالذنب وكراهية الذات. ومما لا شك فيه أن المتهمين الذين يتمتعون بمثل هذا الشعور قد يتهمون أنفسهم لإيقاع العقاب عليهم [١].

٣ ـ يجمع أغلب الخبراء على أنهم من الصعوبة بمكان الحصول على معلومات صادقة عن طريق استعمال العقاقير المخدرة من المتهم الذي يريد متعمدًا إخفاء الحقيقة، لاحتفاظه بحواسه بدرجة كبيرة. أن العقاقير لا يمكن أن تؤدي إلى الاعتراف بطريقة آلية . فالمتهم يستطيع بالرغم من تخديره الاحتفاظ بالمعلومات التي يعتقد بأن في إفشائها ما يضر بمصلحته [٢].

ولقد وجد شارلون وهو أحد هؤلاء الخبراء، بأن نسبة النجاح التي صادفها عند استخدامه طريقة التحليل العقاري لأغراض التحقيق الإجرامي لا تتعدي ٢٠٪ من الحالات التي درسها، وأن ٣٠ ٪ من الأشخاص الذين تم تخديرهم كانوا متحكمين جزئيًا في إرادتهم وبالتالي فلم يكشفوا إلا عن جزء من أسرارهم أما الباقين والذين بلغت نسبتهم ٥٠٪ فقد اصطدمت محاولات التحقيق فيها مع إرادة الأشخاص الذين بقوا بسيطرتهم التامة على أنفسهم [٣].

٤ ـ قد يتعرض المتهم الخاضع للتخدير للإدلاء بأقوال لا تمت إلى الحقيقة بصلة، وكل ما في الأمر أن هذه الأقوال تفصح عن غبات جنائية مكبوتة لم يتمكن من تحقيقها، فيتكلم عنها على اعتبار أنها حقائق قام فعلًا بارتكابها في الوقت الذي أنها

---

(١) انظر سعد جلال المرجع السابق ، ص ٤٠٣ – ٤٠٤.

(٢) انظر محمد سامي النبراوي، المرجع السابق، ص ٤٦٤، ٤٦٥.

(٣) انظر زين العابدين سليم ومحمد إبراهيم زيد، المرجع السابق، ص ٤٠.
ومن تجارب د. سكارلين في هولندة وجد أنه من بين ١٠٠ قضية استخدم فيها التحليل بطريقة التخدير كانت نتائجه كالآتي: ١٢٪ من الحالات كانت النتائج مرضية، ٢٨٪ من الحالات ألقى التحليل بعض الأضواء الخافتة على تفاصيل قليلة الأهمية وفي ٦٠ ٪ من الحالات لم يجد التحليل. انظر حسين محمد علي، المرجع السابق، هامش ص ٢٦٧.

Scanned by CamScanner